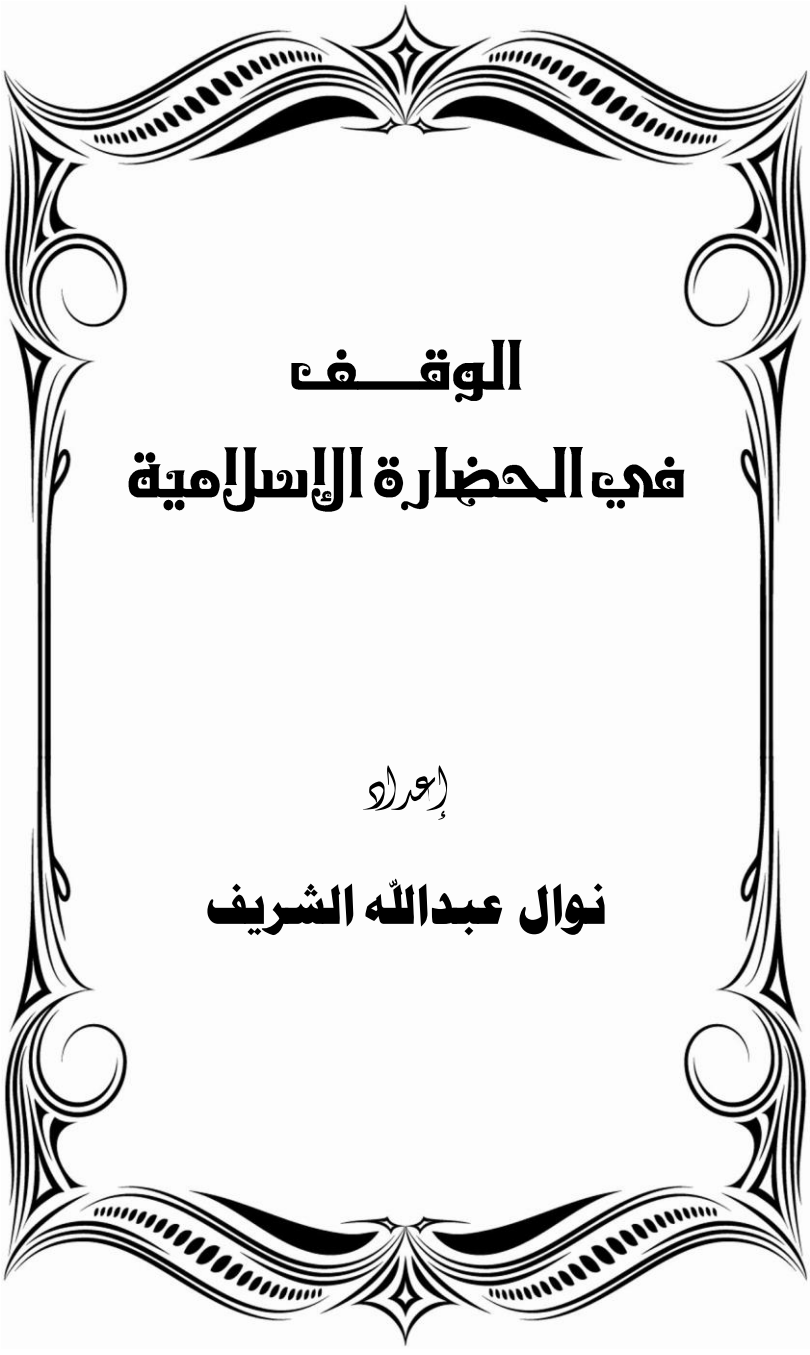

الوقـــف
في الحضارة الإسلامية

إعداد

نوال عبدالله الشريف

تمهيد

الوقف في اللغة:

الوقف لغة: مصدر يراد به اسم المفعول، بمعنى الشيء الموقوف: والوقف عندهم هو الحبس والمنع. قال الأزهري: قال الليث: الوَقْف: مصدرُ قولك: وقفتُ الدابة ووقَفْتُ الكلمةَ وَقْفاً: وهذا مُجاوِزٌ: فإذا كان لازماً قلتَ: وقفت وُقُوفاً. وإذا وقّفْتَ الرجلَ على كلمةٍ قلتَ وقَّفتُه توقيفاً "، قال:" وقال أبو زيد:.. ومالك تقف دابتك: تحبسها بيدك "(١).

وقال ابن منظور: وَفِي الْحَدِيثِ: ذَلِكَ حَبِيسٌ فِي سَبِيلِ اللَّه، أَي مَوْقُوفٌ عَلَى الْغُزَاةِ يَرْكَبُونَهُ فِي الْجِهَادِ، والحَبِيسُ فَعِيلٌ بِمَعْنَى مَفْعُولٍ. وَكُلُّ مَا حُبِسَ بِوَجْهٍ مِنَ الْوُجُوهِ حَبِيسٌ. اللَّيْثُ: الحَبِيسُ الْفَرَسُ يُجْعَلُ حَبِيساً فِي سَبِيلِ اللَّه يُغْزَى عَلَيْهِ "(٢).

---

(١) الأزهري، (محمد بن أحمد بن الأزهري الهروي) (ت٣٧٠هـ): تهذيب اللغة: تحقيق/ محمد عوض مرعب . دار إحياء التراث العربي . بيروت . الطبعة: الأولى ٢٠٠١م ج٩ص٢٥١.

(٢) ابن منظور، (محمد بن مكرم بن على ابن منظور الأنصاري الرويفعى الإفريقي) (ت٧١١هـ): لسان العرب: دار صادر . بيروت . الطبعة: الثالثة ١٤١٤هـ ج٦ص٤٥.

وقال الفيروز آبادي: الحَبْسُ: المَنْعُ،.. وكلُّ شيءٍ وقَفَهُ صاحِبُهُ من نَخْلٍ أو كَرْمٍ أو غيرِها يُحَبَّسُ أصْلُهُ،وتُسَبَّلُ غَلَّتُهُ. قال: وتَحبيسُ الشيءِ :أن يُبَقَّى أصْلُهُ، ويُجْعَلَ ثَمَرُهُ في سَبيلِ اللهِ"(١).

والوقف أيضاً : هو الحبس والمنع ، وهو مصدر وقف جمعه أوقاف (٢).

حيث يقال : وقفت الدار أي حبستها في سبيل الله (أوجه الخير والمعروف) وعرفها مجمع اللغة العربية بأن الوقف هو : " حبس مال وصرف منفعة لجهة معينة ، ويجوز في الخيرات ابتداءاً وانتهاءاً " (٣)

ودليل مشروعيته :

يأتي من الآيات الكثيرة في كتاب الله تعالي التي تحض علي فعل الخير ، والإنفاق في أوجه المعروف مثل قوله سبحانه :- (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاكُم.....) سورة البقرة "٢٥٤" و (وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ

---

(١) الفيروز آبادي، (مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب) (ت ٨١٧هـ): القاموس المحيط: تحقيق/ مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة بإشراف: محمد نعيم العرقسُوسي . مؤسسة الرسالة . بيروت . لبنان الطبعة: الثامنة ١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م ص٥٣٧.

(٢) الجرجاني (علي بن محمد الجرجاني) – التعريفات – دار الكتاب العربي – بيروت – ط٢ – ١٤١٣هـ- ص ٣٢٨.

(٣) معجم اللغة العربية – المعجم الوجيز – طبعة وزارة التربية والتعليم – القاهرة – ١٩٩٧م – ص ٦٧٩.

وَآتُوا الزَّكَاةَ ج وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ اللَّه....) البقرة "١١٠"

وقوله تعالي : (إِن تُقْرِضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يُضَاعِفْهُ لَكُمْ.....) التغابن "١٧"

والأدلة من السنة كثيرة جداً نورد إحداها :

فقد ورد عن أبي هريرة – رضي الله عنه – أن رسول الله "صلي الله عليه وسلم" قال : " إذا مات ابن ادم انقطع عمله إلا من ثلاثة : صدقة جارية أو علم ينتفع به، أو ولد صالح يدعو له "[١] وغيره من الأحاديث ومن إجماع الصحابة وفعلها ، وإجماع التابعين نورد الدليل التالي :- فقد ورد عن صحابة رسول الله "صلي الله عليه وسلم" ما يدلنا علي مشروعية الوقف واتفاقهم عليه دون خلاف يذكر حتي أنهم كانوا يسارعون إلي الوقف رغبة منهم في ثوابه ، وفي ذلك يذكر الشافعي : "بلغني ان ثمانين صحابياً من الأنصار تصدقوا بصدقات محرمات " فقد كان الشافعي يسمي الأوقاف : الصدقات المحرمات[٢] أي الصدقات التي يحرم بيعها وتداولها بين الناس .

---

(١) مسلم – صحيح مسلم – كتاب الوصية – باب ما يلحق بالإنسان من الثواب بعد وفاته – حديث رقم ٢٨٥٣.

(٢) الشافعي (محمد بن أحمد الخطيب الشربيني – مغني المحتاج إلي معرفة معاني ألفاظ المنهاج – دار الكتب العلمية – بيروت – ١٤١٥هـ – مجلد ٣ – ص ٥٢٣.

حكمة مشروعية الوقف (فوائده):

في اعتقادي أن هذا الجانب الإسلامي الإنساني من الحضارة الإسلامية ظهر وشجع عليه الرسول "صلي الله عليه وسلم" لصلاح الأمة، وكذلك من يعيش في كنفها من الأمم الاخري ، فهو عمل صالح يساعد علي إصلاح حال العباد وحيث يقوي أواصر المودة والمحبة فيما بينهم ، مع نشر التكافل والتكامل بين الأفراد والعائلات والمجتمعات المتعايشة فيما بينها ، فهو نظام فريد في أحكامه يحقق مصالح دائمة لكل أفراد المجتمع الإسلامي ، ويمكن لنا أن نجمل الفوائد فيما يأتي:

١-إحياء التكافل بين طبقات المجتمع وإقامة روابط اجتماعية ممثلة في وقف الأغنياء علي الفقراء ما يسد احتياجاتهم ، خاصة العاجزين عن كسب العيش.

٢-صلة الأرحام بين الأسرة الواحدة كما حض عليها الإسلام .

٣-دعم قوة المسلمين والإسلام في العناية بالمصالح العامة والخاصة ولاسيما تحبيس أموال الأغنياء بالجهاد في سبيل ، وتوصيل تعاليم الإسلام إلي غير المسلمين ، مع الحفاظ علي هيبة وقوة الدولة الإسلامية .

٤-إثراء الحركة العلمية ، ونشر الثقافة بين أفراد المجتمع عن طريق حبس الأموال علي المحافل العلمية بمختلف أشكالها .

٥-استمرار تشييد دور العبادة من مساجد وأربطة وزوايا وما أشبه من مراكز إسلامية ونحوها وتيسير أمور الحج والعمرة لغير القادرين عليها ، والإنفاق علي الحرمين الشريفين وما يحتاجه المسلم في أثناء تأدية

المناسك الدينية بالحجاز ، ولذلك بن جبير[1]يشكو بن شكر (المسئول عن جباية المكوس) يقول في :-

وما نال الحجاز بكم صلاحاً ... وقد نالته مصر والشام

ثم يمتدح السلطان الناصر صلاح الدين بن أيوب في رفعه وإلغائه المكوس وتيسير الحج وأمن الطريق إلي الحجاز في أبيات رائعة يقول فيها:

رفعت مغارم أرض الحجاز بإنعامك الشامل الغامر

وأمنت أكناف تلك البلاد فهان السبيل علي العابر

وسحب أياديك فياضة علي وارد وعلي صادر

فكم لك بالشروق من حامد وكم لك في الغرب من شاكر

وكم بالدعاء لكم كل عام بمكة من معلن جاهر

وكم بقيت حبسة بالظلام وتلك الذخيرة في الذاخر

يعنت حجاج بيت الإله ويسطو بهم سطوة الجائر

الوقف اصطلاحا:

ذكر الفقهاء تعريفات مختلفة للوقف، إلا أن أشمل تعريف للوقف هو:« تحبيس الأصل وتسبيل المنفعة " أي التصدق بالمنفعة على

(١) ابن جبير (محمد بن أحمد الكناني الأندلسي البلنسي) – رحلة ابن جبير – الهيئة العامة لقصور الثقافة – ط٢ – ١٩٩٨م – القاهرة – ص٣١ .

الفقراء[1]؛ إذ يؤيده ما رواه عبد الله بن عمر رضي الله عنهما، أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أصاب أرضاً بخيبر، فأتى النبي ﷺ يستأمره فيها، فقال: يا رسول الله! أصبت أرضاً بخيبر لم أصب مالاً قط أنفس عندي منه، فما تأمر به؟ قال: « إن شئت حبست أصلها، وتصدقت بها»[2]، وفي رواية: "حَبِّس أَصْلَه، وسَبِّل ثمرته[3].

(١) الزركشي، (شمس الدين محمد بن عبد الله الزركشي المصري الحنبلي) (ت٧٧٢هـ): شرح مختصر الخرقي: دار العبيكان . الطبعة: الأولى، ١٤١٣هـ/ ١٩٩٣م ج٤ص٢٦٨، نزيه حماد: معجم المصطلحات المالية والاقتصادية في لغة الفقهاء: دار القلم . دمشق . ط١ .١٤٢٩هـ/٢٠٠٨م ص٤٧٥.

(٢) البخاري، (أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري الجعفي) (٢٥٦هـ): الجامع الصحيح المختصر: تحقيق/مصطفى ديب البغا . دار ابن كثير . اليمامة . بيروت . الطبعة الثالثة، ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م كتاب الشروط – باب الشروط في الوقف رقم ٢٥٨٦ ج٢ ص٩٨٢.

(٣) رواه النسائي في سننه، كتاب الإحباس – باب حبس المشاع ٢٣٢/٦، وابن ماجه في سننه، كتاب الصدقات، باب من وقف ٨٠١/٢ . وهو صحيح الإسناد على شرط الشيخين . انظر: الألباني: إرواء الغليل ٣٠/٦– رقم ١٥٨٣.

نماذج من الوقف عبر التاريخ

أولًا: وقف المساجد والزوايا والأربطة :

كان أول وقف في الإسلام بعد هجرة النبي ﷺ هو وقف الأرض الخاصة ببناء مسجده فمن المعلوم أن النبي ﷺ لما هاجر إلى المدينة قدم قباء أولًا ومكث فيه أربع عشرة ليلة ثم ذهب إلى المدينة وأسس المسجد النبوي، فقد روى الإمام البخاري في صحيحه عن أنس رضي الله عنه قال: أمر النبي ﷺ ببناء المسجد، فقال: «يا بني النجار ثامنوني بحائطكم هذا »، قالوا: لا والله لا نطلب ثمنه إلا إلى الله"(١).

وتفصيل ذلك يظهر فيما ينقله الإمام الذهبي من أن مكان المسجد كان مربداً لغلامين يتيمين ، وهما : سهل وسهيل ولدي : رافع بن النجار – وقد كانا في رعاية أسعد بن زرارة أو كانا في حجر (رعاية) معاذ بن عفراء علي اختلاف في الروايات وقد طلب النبي "صلي الله عليه وسلم" شراء المربد من اليتيمين أو من أهلهما (بني النجار) ، ولكنهم أبوا عليه ذلك (أي رفضوا بيعه) وأصروا علي وقفه لبناء المسجد دون الحصول علي ثمنه ، وعوضوا اليتيمين(٢) وأصبحت أرض المسجد وقفاً لله تعالي فلذلك يعده البعض من المؤرخين أول وقف في الإسلام (علي اختلاف بينهم

---

(١) البخاري: الجامع الصحيح المختصر: باب وقف الأرض للمسجد رقم ٢٦٢٢ج٣ ص١٠٢٠.

(٢) الذهبي (محمد بن أحمد الدمشقي) – تاريخ الإسلام وطبقات المشاهير والأعلام – ج١ – ق١ – الهيئة المصرية العامة للكتاب – القاهرة – ١٩٧٥–ص٧٣,٧٤.

أيضاً حيث رأي البعض الآخر انه مسجد قباء) ، ولكننا نضرب الصفح عن ذلك فليس المقام مقام ترجيح رأي علي آخر .

وهذا يدل على أنّ بناء المساجد كان أول وقف عملي في الإسلام بعد الهجرة مباشرة، ثم توالى بعد ذلك الأمر ببناء المساجد، وقفا لله تعالى، فعن عائشة ـ رضي الله عنها ـ قالت:« أمر رسول الله ﷺ ببناء المساجد في الدور وأن تنظف وتطيب»[1].

وقد كان أول وقف في مصر جامع عمرو بن العاص، تصدق بأرضه قيسبة بن كلثوم التجيبي، فيذكر ابن دقماق عن الليث بن سعد أن موضع مسجد أهل الراية (جامع عمرو) حازه قيسبة بن كلثوم ؛ ثم سأل عمرو بن العاص قيسبة في منزله هذا يجعله مسجدًا ؛ فقال قيسبة: لقد علمتم يا معاشر المسلمين أني حزت هذا المنزل وملكته، وإني أتصدق به على المسلمين؛ وذلك سنة (٢١هـ/٦٤١م)[2]؛ وما من بلد من البلاد التي فتحها المسلمون ونشروا فيها الخير، إلا وحرص الفاتحون على أن يكون المسجد أول شيء يشيدونه .

---

(١)أبو داود، (سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد بن عمرو الأزدي السِّجِسْتاني) (ت٢٧٥هـ): سنن أبي داود: تحقيق/ شعَيب الأرنؤوط . دار الرسالة العالمية ـ الطبعة: الأولى، ١٤٣٠هـ/٢٠٠٩م باب اتخاذ المساجد في الدور رقم ٤٥٥ ج١ص٣٤٢.

(٢) ابن دقماق، (صارم الدين إبراهيم بن محمد بن أيدمر العلائي) (ت٨٠٩هـ): الانتصار لواسطة عقد الأمصار في تاريخ مصر و جغرافيتها: المكتب التجاري . بيروت ـ ص٦١، ٦٢.

ويذكر ابن بطوطة : وأما الزوايا فكثيرة وهم يسمونها الخوانق واحدتها خانقاه وأن الأمراء بمصر كانوا يتنافسون في بناء الزوايا ، وربما أفرد بعض الناس من الأغنياء لكل طائفة من الفقراء زاوية خاصة بهم يسكنون بها ، فيقيمون صلواتهم، ويطعمون فيها ويبيتون ، وكذلك يكسون.

كما يذكر : أن لكل زاوية شيخ وحارس وخدم يقدمون لكل فقير طعاماً حسبما يشتهي الفقير الذي يوضع له الطعام والشراب الخاص به وحده ، ولهم كسوة في الشتاء ، وكسوة في الصيف ومرتب شهري ، وغير ذلك الكثير مثل الصابون ، والحلوى وأجرة دخول الحمامات .....الخ وشرط حصولهم علي كل هذه المميزات: حضورهم الصلوات الخمس ، والمبيت بالزاوية ، واجتماعهم بقبة داخل الزاوية(١).

ومن الزوايا التي زارها ابن بطوطة : زاوية أبي يعقوب بن يوسف في مدينة الكرك القريبة من بيروت بالشام ، ويذكر أن أبا يعقوب هذا كان الناس بالكرك يزعمون أنه من ملوك المغرب ، وحكوا عنه إجادته لتحويل النحاس إلي ذهب بصب إكسير كان معه علي النحاس وهو يغلي ، وقد وجد ابن بطوطة بتلك الزاوية عنايا بإطعام الناس الوارد والصادر منهم ، وكان البعض يذكر أن صلاح الدين الأيوبي هو الذي أوقف الأوقاف عليها والبعض الآخر كان يذكر نور الدين في ذلك(٢).

---

(١) ابن بطوطة (محمد بن إبراهيم اللواتي) – رحلة ابن بطوطة – دار صادر – بيروت – ص٣٧/٣٨.

(٢) ابن بطوطة – رحلة ابن بطوطة – ص٦٣.

ومن الأربطة التي عني بها المسلمون وجعلوها وقفاً علي الفقراء وعابري السبيل الكثير من الأمثلة التي نذكر منها :-

رباط دير الطين الذي أوقفه الصاحب تاج الدين بن حناء بناه واقفه علي مفاخر عظيمة ، وآثار كريمة أودعها بالرباط وهي : قطعة من قصعة رسول الله "صلي الله عليه وسلم" والميل الذي كان يكتحل به ، والدرفش الذي يخصف به بعله ، ومصحف أمير المؤمنين / علي بن أبي طالب رضي الله عنه فقد بني الرباط ووضع فيه هذه الآثار الكريمة ، وأوقف الطعام علي الوارد والصادر والجراية لخدام تلك الآثار الشريفة ومن يمر بهم من الناس(١).

وأشهر الأربطة في مكة المكرمة :

١- **رباط الربيع** أنشأه الملك الأفضل بن السلطان الملك الناصر صلاح الدين في منطقة أجياد سنة ٥٩٤هـ حيث أوقف فيه كتباً كثيرة ، وأنفق عليه بسخاء.

٢- **رباط الموفق** : الذي أنشأه القاضي جمال الدين علي بن عبدالوهاب الاسكندري وجعله موقوفاً علي فقراء المسلمين من المغتربين ذوي الحاجة ، وكان إنشاؤه في سنة ٦٠٤هـ .

٣- **رباط قايتباي** : أنشأه السلطان قايتباي بجوار المدرسة المعروفة باسمه بالقرب من الحرم المكي .

---

(١) ابن بطوطة – رحلة ابن بطوطة – ص٤٧.

٤- **رباط الشرابي** : الذي إنشاؤه سنة ٦٤٠هـ في المنطقة القريبة من باب بني شيبة.

٥- **رباط الخوزي**: الذي أسسه الأمير قرامر بن محمود الأقدري الفارسي سنة ٦١٧هـ[١]

وقد اشتركت العديد من النساء في التسابق علي مكرمة الوقف ، وتنوعت مشاركتهن في شتي أنواع البر ، ووقف الأموال والممتلكات علي إنشاء المساجد والخوانق والأربطة في الحجاز والعراق ومصر والشام ، وغيرها من مدن العالم الإسلامي ، وأغلبها قد حمل أسمائهن ، ونشير إلي بعض هذه المكرمات التي كان أشهرها :

١-**رباط الحجازية** : بادرت بإنشائه السيدة / فوز جارية علي بن أحمد الجرجرائي الوزير بجوار مسجدها بالقاهرة سنة ٤١٥هـ ، وأوقفته علي أم الخير الحجازية حيث كانت الحجازية من الدعاة واعظة زمانها ، ونشطت في تصدر حلقات الدرس والوعظ بجامع عمرو بن العاص ، كما اهتمت وعنيت بتثقيف رواد ونزلاء هذا الرباط خاصة من النساء والرجال والأطفال .

٢- **رباط البغدادية** – قد قامت بإنشائه والإنفاق عليه السيدة / تذكار باي خاتون ابنة الملك الظاهر بيبرس البندقداري في القاهرة سنة ٦٨٤هـ وعنيت بإنزال الشيخه الصالحة / زينب ابنة أبي البركات التي

---

(١)) يحيي محمود ساعاتي – الوقف وبنية المكتبة العربية – الرياض – ١٤٠٨هـ – ص١٠٩ وما بعدها .

كانت تعرف ببنت البغدادية وكان يرافقها عدد من السيدات المميزات حيث أمرت بالإنفاق عليهن جميعاً .

٣- **خانقاه أم أنوك** : التي أنشأتها السيدة / طغاي أم أنوك زوجة الناصر / محمد ابن قلاوون في حوالي سنة ٧٤٥هـ ورصدت عليها الأوقاف الكثيرة كما جعلت لكل جارية من جواريها مبلغاً من المال كراتب شهري لهن[١] .

وجدير بالذكر : أن أمر الأوقاف بمصر والشام وربما في بلاد إسلامية آخري – كان بيد القضاة الذين كانوا يتولون تنظيم الإنفاق والنظر في من يستحق ومن لا يستحق ، وكم يعطي للفقراء وكيفية ذلك ، فإذا وصل فقير إلي مدينة من المدن فان عليه أن يقصد القاضي الذي يصرف له ما قدر له [٢] .

ثانياً: وقف الموارد المائية (الآبار والعيون)

ويَدخل في ذلك شق الأنهار وحفر البرك والآبار ونحو ذلك: فقد كان ذلك أمرا منتشرا بالمدينة[٣]وأول ذلك وقف بئر رومة فإنه لما قدم الْمُهَاجِرُونَ الْمَدِينَة الشَّرِيفَة استنكروا المَاء لملوحته، وَكَانَ لرجل من بني

---

(١) د/ محمد بن أحمد الصالح – الوقف في الشريعة الإسلامية وأثره في تنمية المجتمع – ط١ – ١٤٢٢هـ / ٢٠٠١م – ص١٧٧ , ١٧٨.

(٢) ابن بطوطة – رحلة ابن بطوطة – ص ٥٠.

(٣) ابن شبة، (عمر بن شبة) (واسمه زيد) (بن عبيدة بن ريطة النميري البصري) (ت ٢٦٢هـ): تاريخ المدينة: تحقيق/ فهيم محمد شلتوت . جدة . ١٣٩٩هـ ص١٦٦ وما بعدها.

غفار عين، يُقَال لَهَا بِئْر رومة يَبِيع مِنْهَا الْقرْبَة بِمد من الطَّعَام، فَقَالَ لَهُ النَّبِي صلى الله عَلَيْهِ وَسلم: " بعنيها بِعَين فِي الْجنَّة "، فَقَالَ لَيْسَ لي غَيرهَا. فَبلغ عُثْمَان رَضِي الله عَنهُ فاشتراها بِخَمْسَة وَثَلَاثِينَ ألف دِرْهَم ثمَّ أَتَى النَّبِي صلى الله عَلَيْهِ وَسلم فَقَالَ: يَا رَسُول الله أَتجْعَلُ لي مثل الَّذِي جعلت لَهُ؟ فَقَالَ: نعم" قال: قد اشتريتها وجعلتها للمسلمين(١).

ومن هذا الوقف أيضًا: أن على بن أبى طالب قطع له عمر بن الخطاب ينبع، ثم اشترى علي إلى قطيعة عمر أشياء فحفر فيها عينًا، فبينا هم يعملون فيها إذ تفجر عليهم مثل عنق الجزور من الماء، فأُتي علي وبشر بذلك، قال: بشر الوارث؛ ثم تصدق بها على الفقراء والمساكين وفى سبيل الله وابن السبيل، القريب والبعيد، وفى السلم وفى الحرب، ليوم تبيض وجوه وتسود وجوه، ليصرف الله تعالى بها وجهي عن النار ويصرف النار عن وجهي(٢) .

ومنها عين زبيدة بمكة المكرمة؛ تنسب لأم جعفر زبيدة بنت جعفر بن المنصور، توفيت سنة ست عشر ومائتين في خلافة المأمون، اسمها أمة

---

(١) ابن الضياء، (محمد بن أحمد بن الضياء محمد القرشي العمري المكي الحنفي)، المعروف بابن الضياء (ت٨٥٤هـ): تاريخ مكة المشرفة والمسجد الحرام والمدينة الشريفة والقبر الشريف: تحقيق/ علاء إبراهيم، أيمن نصر . دار الكتب العلمية . بيروت . لبنان . الطبعة: الثانية، ١٤٢٤هـ /٢٠٠٤م ص٢٤٧.

(٢) البيهقي، (أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُسْرَوْجِردي الخراساني)، أبو بكر البيهقي (ت٤٥٨هـ) السنن الكبرى: تحقيق/ محمد عبد القادر عطا . دار الكتب العلمية . بيروت . لبنان . الطبعة: الثالثة ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م باب الصدقات المحرمات رقم ١١٨٩٧ ج٦ص٢٦٥.

العزيز وهي ابنة عم الرشيد وزوجته وأم الأمين، وكانت من فضليات النساء؛ وهي التي بنت الآبار والبرك والمصانع بمكة المشرفة، وحفرت العين المعروفة باسمها؛ جلبت إليها الماء من أقصى وادي نعمان، شرقي مكة، وأقامت له الأقنية حتى أبلغته مكة؛ قال ابن الجوزي في كتاب (الألقاب): إنها سقت أهل مكة الماء بعد أن كانت الراوية عندهم بدينار، وإنها أسالت الماء عشرة أميال بحط الجبال ونحوت الصخر حتى غلغلته من الحل إلى الحرم[1].

لم يقتصر الاهتمام على توفير الماء العذب للناس فقط بل شمل أيضًا الدواب؛ فوجد كثير من الأحواض الموقوفة سبيلا لله تعالى لسقي الدواب؛ من ذلك ما تذكره وثيقة وقف السلطان قايتباي: ووقف حوض السبيل المذكور أعلاه، بالقرب من الجامع المذكور فيه، وفسقية الحوض المذكور المجاور له، لاستقرار الماء الذي يجري إليها من بئر الساقية المذكورة أعلاه المعلقة بذلك، لينتفع به في سقي الدواب المارين على ذلك، والمترددين إليه، وفي غير ذلك من الانتفاعات الشرعية على العادة في ذلك، وجعله سبيلا لله[2].

---

(١) ابن الجوزي،(جمال الدين أبي الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي) (ت٥٩٧هـ): كشف النقاب عن الأسماء والألقاب: تحقيق/ عبد العزيز بن راجي الصاعدي . دار السلام . ط١ ١٩٩٣م ج١ص٢٣٧، ٢٣٨.

(٢) محمد محمد أمين: الأوقاف والحياة الاجتماعية في مصر: ط١ ١٤٠٠هـ/١٩٨٠م ص١٥٤ .

ثالثاً: وقف الحوائط (البساتين)

كان ثالث وقف عملي في الإسلام هو وقف الحوائط السبعة من مال المخيريق بعد غزوة أحد: وهو أول وقف استثماري: ومخيريق هذا كان من يهود المدينة وكان حبرا عالما، غنيا كثير الأموال من النخل، وكان يعرف رسول الله ﷺ بصفته، وما يجد في علمه، وغلب عليه إلف دينه، فلم يزل على ذلك، حتى إذا كان يوم أحد، وكان يوم أحد يوم السبت، قال: يا معشر يهود، والله إنكم لتعلمون أن نصر محمد عليكم لحق. قالوا: إن اليوم يوم السبت ؛ قال: لا سبت لكم، ثم أخذ سلاحه فخرج حتى أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم بأحد، وعهد إلي من وراءه من قومه: إن قتلت هذا اليوم، فأموالي لمحمد ﷺ يصنع فيها ما أراه الله، فلما اقتتل الناس قاتل حتى قتل، فكان رسول الله ﷺ – فيما بلغني – يقول : مخيريق خير يهود، وقبض رسول الله ﷺ أمواله، فعامة صدقات رسول الله ﷺ بالمدينة منها [1] ، وكان له بها عقارات سبعة تصدق بها على النبي ﷺ ليفعل بها ما شاء: فوقفها في سبيل الله تعالى، وكان عليه السلام يأخذ جزءا منها لنفسه وأهله: ويجعل الباقي في سبيل الله تعالى، ويقال بأن صدقته هذه هي أول وقف عملي في الإسلام: ويُشكل عليه بأن وقف المسجد والآبار أسبق منه كما ذكرنا. ويذكر أن ظلت باقية حتى أيام ولاية عمر بن عبد العزيز على

---

(١) ابن هشام، (عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري المعافري(ت٢١٣هـ): السيرة النبوية: تحقيق: مصطفى السقا وآخرون . مطبعة مصطفى البابي الحلبي . مصر . الطبعة: الثانية، ١٣٧٥هـ/١٩٥٥م ج١ص٥١٨ ويُروي عنه صلي الله عليه وسلم قوله : مخيريق سائق يهود وسليمان سائق فارس , وبلال سائق الحبشة انظر: الذهبي – تاريخ الإسلام – ج١ – ق١ – ص٢١٦/٢١٧.

المدينة قال ابن سعد: "قَالَ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ: قَدْ دَخَلْتُهَا إِذْ كُنْتُ وَالِيًا بِالْمَدِينَةِ وَأَكَلْتُ مِنْ هَذِهِ النَّخْلَةِ وَلَمْ أَرَ مِثْلَهَا مِنَ التَّمْرِ أَطْيَبَ وَلَا أَعْذَبَ[1] .

رابعاً: وقف المدارس

كان بناء المدارس لتعليم القرآن والعلم الشرعي ووقفها والوقف عليها من الأمور التي نالت اهتمام كثير من أهل الخير حكاما ومحكومين ، وقد كان ظهور المدارس المستقلة عن المساجد ، ربما نتيجة للنمو الطبيعي للمجتمع واتساعاً لدور المسجد الذي انبثق منه محفل يختص بالدراسة والاطلاع لمواكبة تطور العصر الإسلامي وربما احتياج الناس إلي ما يمنع انتشار الأفكار والطوائف المنحرفة المتطرفة من شيعة ورافضة وكذلك كل من دخل الإسلام كيداً له أو انحرافاً بتعاليمه عن جادة الصواب .

وقد عني الواقفون (أصحاب الوقف) باختيار أفضل العلماء ، وأكثرهم كفاءة ، واجتهدوا في جعل طلاب العلم في حالة تتيح لهم فرصة التفرغ لتلقي العلم بتوفير الطعام والشراب لهم وكذلك المسكن والملبس وما يحتاجه المتعلم من شؤون الحياة .

وقد شارك في التسابق علي وقف أموالهم للمدارس وما ينفق عليها معظم طوائف المجتمع الميسور فكان منهم الخلفاء والسلاطين والأمراء والأثرياء والعلماء وربما بعض من عامة الناس الذين كانوا يشاركون بما يتيسر عندهم من إمكانات .

---

(١) ابن سعد، (أبو عبد الله محمد بن سعد بن منيع الهاشمي بالولاء)، البصري، البغدادي (ت٢٣٠هـ): الطبقات الكبرى: تحقيق/ إحسان عباس . دار صادر . بيروت . الطبعة: الأولى، ١٩٦٨م ج١ص٥٠٢.

فظهر التسابق بين الناس في كل الأقطار الإسلامية وأصبح منهجاً لا يقتصر فقط علي المدن الكبري بل تعداه إلي بعض القرى والمناطق النائية، واتسمت بسمات متقاربة فيما بينها من حيث التنظيم والإعداد ومجانية التعليم فيها لكل طوائف الأمة ، وانقسامها إلي قسمين من حيث الإقامة حيث كانت بها غرف للمقيمين باستمرار وربما كان اغلبهم من الغرباء الذين لا يملكون مسكناً ، وقسم آخر لمن يأتي في أوقات دون غيرها ربما لوجود عمل لديه فيدرس بعض الوقت ثم يعود لأهله أو لعمله ، أو غير ذلك[1] (٢٩) .

ونري في وصف الرحالة بن جبير لحال العلم بالإسكندرية ، وعناية السلطان الناصر صلاح الدين الأيوبي به وبطلاب العلم ، والأوقاف التي أوقفها عليهم ما يُجلي الصورة :- "ومن مناقب هذا البلد (الإسكندرية) و مفاخره العائدة في الحقيقة إلي سلطانه المدارس والمحارس الموضوعة فيه لأهل الطلب و التعبد يفدون إليه من الأقطار النائية فيلقي كل واحد منهم مسكناً يأوي إليه ، و مدرسا يعلمه الفن الذي يريد تعليمه ، وإجراء يقوم به كل أحواله" . [2]

ولو أراد باحث أن يجمع ذلك في كتاب لاحتاج إلى مجلدات؛ لكنا نذكر هنا نماذج من ذلك تدل على غيرها .

١- بنى الوزير أبو نصر بن أردشير ببغداد (دار العلم) ووقف فيها كتبا كثيرة على المسلمين المنتفعين بها وكان ذلك في سنة اثنتين وثمانين

---

(١) يحيي محمود ساعاتي – الوقف – ص ١٧/١٦.

(٢) ابن جبير – رحلة ابن جبير – ص ٤٠.

وثلاثمائة في خلافة القادر بالله أبي العباس الخليفة العباسي قال ابن كثير: وأظن أن هذه أول مدرسة وقفت على الفقهاء ، وكانت قبل النظامية بمدة طويلة[١].

٢- في سنة (٤٥٩هـ) بنيت المدرسة النظامية، بناها الوزير نظام الملك في عهد القائم بأمر الله الخليفة العباسي[٢].

٤- أنشأ السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب عدة مدارس بمصر ووقف عليها أوقافاً كثيرة؛ وهي: المدرسة الناصرية للشافعية: أنشئت سنة(٥٦٦هـ) وأوقف عليها من الصاغة وإحدى القرى؛ والمدرسة القمحية للمالكية: وأوقف عليها قيسارية الوراقين وقريتي الحنبوشية والأعلام بإقليم الفيوم، والمدرسة اليوسفية للحنفية: وأوقف عليها اثنين وثلاثين حانوتًا وباب الفتوح وحارة برجوان؛ وفي سنة(٥٧٢هـ) أمر بإنشاء مدرسة ثانية للشافعية بجوار قبر الإمام الشافعي وأوقف عليها حمَّامًا وفرنًا وحوانيت

---

(١) ابن كثير، (أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي) (ت٧٧٤هـ): البداية والنهاية: تحقيق/ علي شيري . دار إحياء التراث العربي . الطبعة: الأولى ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م ج١١ص٣٥٧.

(٢) ابن الأثير، (أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني الجزري، عز الدين ابن الأثير) (ت٦٣٠هـ): الكامل في التاريخ: تحقيق/ عمر عبد السلام تدمري . دار الكتاب العربي . بيروت . لبنان . الطبعة: الأولى ١٤١٧هـ/١٩٩٧م ج٨ص٢١٢.

وجزيرة الفيل؛ وفي نفس السنة أمر ببناء المارستان(المستشفى) بالقاهرة ووقف عليها وقوفًا كثيرة(١).

٤- المدرسة الظاهرية بالقاهرة: أسسها الملك الظاهر بيبرس البندقداري عام(٦٦٢هـ)، وقف عليها رَبْعَ السلطان خارج باب زويلة فيما بين باب زويلة وباب الفرج، وكان ربعًا كبيرًا، وتحت هذا الربع عدة حوانيت هي من أجلِّ الأسواق، وللناس في سكناها رغبة عظيمة؛ وهذه المدرسة من أجلِّ مدارس القاهرة(٢).

٥- المدرسة الحجازية: أنشأتها الست الجليلة الكبرى خوند تتر الحجازية ابنة السلطان الملك الناصر محمد بن قلاوون زوجة الأمير بكتمر الحجازي سنة (٧٦١هـ)؛ جعلت بهذه المدرسة درسًا للفقهاء الشافعية، ودرسًا للفقهاء المالكية ... وجعلت بجوار المدرسة مكتبًا للسبيل فيه عدة من أيتام المسلمين، ولهم مؤدب يعلمهم القرآن الكريم، ويجري عليهم في كل يوم لكل منهم من الخبز النقي خمسة أرغفة، ومبلغًا من الأموال، ويقام لكل منهم بكسوتي الشتاء والصيف، وجعلت على هذه الجهات عدة أوقاف جليلة يصرف منها لأرباب الوظائف المعاليم السنية(٣) .

---

(١) ابن تغري بردي، (يوسف بن تغري بردي بن عبد الله الظاهري الحنفي، أبو المحاسن)، جمال الدين (ت٨٧٤هـ): النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة: وزارة الثقافة والإرشاد القومي ـ دار الكتب ـ مصر ج٦ص٧٩.

(٢) المقريزي، (أحمد بن علي بن عبد القادر، أبو العباس الحسيني العبيدي)، تقي الدين المقريزي (ت٨٤٥هـ) المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار:دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ الطبعة: الأولى ١٤١٨هـ ج٤ص٢٢٥، ٢٢٦.

(٣) المقريزي: المصدر نفسه: ج٤ص٢٣٠، ٢٣١.

خامساً: وقف البيمارستانات (المستشفيات)

اهتم ولاة المسلمين منذ القرون الأولى للإسلام بالعناية بدور العلاج لفقراء المسلمين ومرضاهم والتي كانت تعرف بالبيمارستانات؛ وأوَّل من بنى المارستان في الإسلام ودار المرضى الخليفة الأموي الوليد بن عبد الملك(٨٦-٩٦هـ)، وهو أيضاً أول من عمل دار الضيافة، وذلك في سنة (٨٨هـ)، وجعل في المارستان الأطباء وأجرى لهم الأرزاق، وأمر بحبس المجذومين لئلا يخرجوا، وأجرى عليهم، وعلى العميان الأرزاق[١]

ومن هذه البيمارستانات ما يلي:

١- **مارستان ابن طولون**: بناه أحمد بن طولون في سنة (٢٦١هـ)، ولم يكن قبل ذلك بمصر مارستان، ولما فرغ منه حبس عليه دار الديوان ودوره في الأساقفة والقيسارية وسوق الرقيق؛ وشرط في المارستان أن لا يُعالج فيه جنديٌّ ولا مملوك، وعمل حمَّامين للمارستان، أحدهما للرجال والآخر للنساء، حبسهما على المارستان وغيره؛ وفي سنة اثنتين وستين ومائتين كان ما حبسه على المارستان والعين والمسجد في الجبل الذي يُسمى بتنور فرعون، وكان الذي أنفق على المارستان ومستغله ستين ألف دينار[٢].

---

(١) المقريزي: المصدر نفسه: ج٤ ص٢٦٧.

(٢) المقريزي: المصدر نفسه: ج٤ ص٢٦٧.

٢- **مارستان أم الخليفة المقتدر ببغداد**؛ فتح في أول يوم من المحرم سنة(٣٠٦هـ) ورُتب فيه الأطباء والخدم والقومة، وكانت نفقته في كل شهر سبعة آلاف دينار(١).

٣- **مارستان كافور**؛ بناه كافور الإخشيديّ، وهو قائم بتدبير دولة الأمير أبي القاسم أنوجور بن محمد الإخشيد بمدينة مصر في سنة ست وأربعين وثلاثمائة(٢).

٤- **المارستان الكبير المنصور**يّ : بناه الملك المنصور قلاوون ، وكان الشروع في بنائه أوّل ربيع الآخر سنة (٦٨٣هـ) ووقف عليها الملك المنصور من الأملاك بديار مصر وغيرها ما يقارب ألف ألف درهم في كلِّ سنة ورتب مصارف المارستان والقبة والمدرسة ومكتب الأيتام(٣).

ويمكننا هنا إضافة علي ما سبق ذكره في المدارس من مشاهدات الرحالة ابن جبير بالإسكندرية ما يذكره من عناية السلطان الناصر / صلاح الدين الأيوبي بالغرباء ، وطلاب العلم حيث أنه أمر بتعيين حمامات يستحمون فيها متي احتاجوا إلي ذلك وانشأ لهم مارستاناً (مستشفي) لعلاج من مرض منهم ، و وكل بهم أطباء يتفقدون أحوالهم وتحت أيديهم خدم يأمرون بالنظر في مصالحهم التي يشيرون بها من علاج وغذاء ،

---

(١) ابن كثير: البداية والنهاية: ج١١ ص١٤٦.

(٢) المقريزي: المواعظ والاعتبار: ج٤ ص٢٦٧.

(٣) المقريزي: المصدر نفسه: ج٤ ص٢٦٨.

بالإضافة إلي تعيين خبز دائم لكل الغرباء خاصة من المغاربة ، ويذكر ابن جبير أن نفقات هذه الأمور أوقف عليها السلطان أوقافاً من صلب ماله[١]

وأيضاً مارستان القاهرة يصفه ابن جبير أيضاً بقوله : "وهو قصر من القصور الرائعة حسناً واتساعاً أبرزه لهذه الفضيلة تأجراً واحتساباً وعين قيماً من أهل المعرفة وضع لديه خزائن العقاقير ومكنه من استعمال الاشربة وإقامتها علي اختلاف أنواعها ، ووضعت في مقاصر ذلك القصر أُسِره يتخذها المرضي مضاجع كاملة الكسي ، وبين يدي ذلك القيم خدم يتكفلون بتفقد أحوال المرضي بكرة وعشيا فيقابلون من الأغذية والأشربة ما يليق بهم ، وبإزاء هذا الموضع موضع مقتطع للنساء المرضي ولهن من يكفلهن بالموضعين المذكورين أيضاً من يتفقد في كل يوماً أحوالهم..... والسلطان يتطلع هذه الأحوال كلها بالبحث والسؤال ويؤكد في الاعتناء بها والمثابرة عليها غاية التأكيد[٢].

سادساً: وقف المكتبات

كان ارتفاع أسعار الكتب لدرجة كان يتعذر على غير الأغنياء اقتناؤها دافعًا للمحسنين ومحبو العلم المقدرين إلى إنشاء المكتبات ووقفها على طلاب العلم، ووقفوا عليها أموالا كثيرة تقربًا إلى الله تعالى؛ وقد عرفت المكتبات بعدة أسماء مثل: خزانة الكتب ـ دور الحكمة ـ دار العلم ـ دار الكتب ، وبعضها كان يقام في المدارس والمساجد ، وهي تشبه ما يعرف اليوم بالمكتبات العامة أو المركزية حيث كانت الأبنية الخاصة بها تشتمل

(١)ابن جبير – رحلة ابن جبير – ص٤٠/٤١.

(٢) ابن جبير – رحلة ابن جبير – ص٤٨.

علي حجرات متعددة تربط بينها أورقة فسيحة مع وضع الكتب علي أرفف تثبت علي الجدران ويخصص لكل فرع من فروع العلم غرفة خاصة به بالإضافة إلي إفراد غرف و أروقة للمطالعين القراء وغرف آخري للنساخ الذين ينسخون الكتب ، وتخصيص غرف الحلقات الدراسة والنقاش العلمي بين رواد المكتبات ، ويبدو أنها كانت تؤثث علي أفخم تأثيث لراحة رواد ومحبي العلم ، مع العناية بغرف الطعام والشراب وغرف أخري لمبيت الغرباء وراحتهم [١] (٤٣).

ومن أمثلة هذه المكتبات :

١- **دار العلم بالكرخ**: وهي مكتبة كبرى أوقفها الوزير أبو نصر أحد وزراء بني بويه المتوفى سنة (٤١٦هـ)؛ وقيل : إنه لم يكن أحسن منها فهرسة وتنظيمًا[٢].

وهناك دار العلم ببغداد أيضاً التي قام بوقفها الوزير / سابور بن أردشير سنة ٣٨١هـ وجلب لها آلاف الكتب التي أوقف عليها غلة كثيرة من مصادر شتي في منطقة بين السورين ببغداد ، وببد وأنه عني بها ، وأنفق عليها الكثير إذ يذكر عنه وعنها ابن الجوزي أيضا :

---

(١) د. مصطفي السباعي – من روائع حضارتنا – دار الوراق – ط ١٤٢٠هـ – ص١٩٩ وما بعدها.

(٢) ابن الجوزي، (جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي) (ت ٥٩٧هـ): المنتظم في تاريخ الأمم والملوك: تحقيق/ محمد عبد القادر عطا، مصطفى عبد القادر عطا . دار الكتب العلمية . بيروت . الطبعة: الأولى ١٤١٢هـ/١٩٩٢م ج١٤ ص٣٦٦.

" وابتاع داراً بين السورين في سنة احدي وثمانين وثلاثمائة وحمل إليها كتب العلم من كل مكان، وسماها دار العلم ، وكان فيها أكثر من عشرة ألاف مجلد، ووقف عليها الوقوف وبقيت سبعين سنة "[١] .

وإذا كان الحدث السابق تم في بغداد سنة ٣٨١هـ ، فلم تمض سوي أربعة عشر سنة حتي كان الحدث العلمي الأكبر بالقاهرة ، وتحديداً في سنة ٣٩٥هـ عندما عني الحاكم بأمر الله

(الخليفة الفاطمي) بتأسيس دار الحكمة بالقاهرة التي جلب لها مئات الآلاف من الكتب الأمر الذي يجعلنا نتخيل مدي اتساعها ، ومدي الإنفاق عليها للاستمرار في تأدية دورها العلمي والتعليمي والثقافي حيث أن الحاكم بأمر الله قد بني لها الحوانيت والدور التي أوقف ريعها علي الإنفاق بسخاء علي مكتبة دار الحكمة هذه وقد ذكرها المقريزي بقوله :- "

وكانت من عجائب الدنيا ، ويقال أنه لم يكن في جميع بلاد الإسلام دار كتب أعظم من التي كانت بالقاهرة في القصر ، ومن عجائبها أنه كان فيها ألف ومائتي نسخة من تاريخ الطبري إلي غير ذلك ، ويقال أنها كانت تشتمل علي أكثر من ستمائة ألف كتاب ، وكان فيها من الخطوط المنسوبة أشياء كثيرة "[٢] .

---

(١) ابن الجوزي – المصدر السابق – طبعة حيدر أباد الدكن – ١٣٥٩هـ – مجلد ٨ ص٢٢.

(٢) المقريزي (أحمد بن علي تقي الدين) – المواعظ والامتياز بذكر الخطط والآثار – دار صادر – بيروت مجلد ١ – ص٤٠٩.

٢- **خزانة مدرسة المستنصرية** التي افتتحت سنة (٦٣١هـ)، والتي يقول فيها ابن الفوطي إن الخليفة المستنصر نقل إليها في يوم واحد من الكتب ما حمله مائة وستون حمالا، عدا ما نقل إليها فيما بعد من كتب موقوفة أخري[١].

٣- **مكتبة المدرسة البشيرية**، التي أنشأتها زوجة الخليفة المستعصم بالله العباسي، وافتتحت سنة (٦٥٤هـ)، ووقفت عليها الكتب والأموال، وكانت كتبها تعار خارج المدرسة نظير رهن يرد بعد رد الكتاب، لضمان إعادة الكتاب المستعار[٢] .

ويجمل لنا ابن بطوطة صنوفاً آخري من الأوقاف عاينها ورآها في دمشق عندما زارها فيقول:- " والأوقاف بدمشق لا تحصر أنواعها ومصارفها لكثرتها فمنها أوقاف علي العاجزين عن الحج يعطي لمن يحج عن الرجل منهم كفايته ، ومنها أوقاف علي تجهيز البنات إلي أزواجهن ، وهن اللواتي لا قدرة لأهلهن علي تجهيزهن ، ومنها أوقاف لفكاك الأساري ، و منها أوقاف لأبناء السبيل يعطون منها ما يأكلون ويلبسون ويتزودون لبلادهم ، ومنها أوقاف علي تعديل الطرق ورصفها لأن أزقة الدمشق لكل

---

(١) ابن الفوطي، (كمال الدين أبو الفضل عبد الرزاق بن أحمد بن محمد الصابوني المعروف بابن الفوطي) (ت ٧٢٣هـ): الحوادث الجامعة والتجارب النافعة في المائة السابعة: تحقيق/مهدي النجم . دار الكتب العلمية . بيروت . لبنان . ط١ ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م ص٥٨، ٥٩.

(٢) ناجي معروف: أصالة الحضارة العربية: دار الثقافة . بيروت ط ٢ ص٤٦١.

واحد منها رصيفان في جنبيه يمر عليهما المترجلون ، ويمر الركبان بين ذلك ، ومنها أوقاف لغير ذلك من أفعال الخير "[1]

ويذكر أيضاً : أن أهل دمشق يتنافسون في عمارة المساجد والزوايا والمدارس والمشاهد ، وهم يحسنون الظن بالمغاربة ويطمئنون إليهم بالأموال والآهلين والأولاد ، وكل من انقطع بجهة من جهات دمشق لابد أن يتأتي له وجه من المعاش من إمامة مسجد ، أو قراءة بمدرسة ، أو ملازمة مسجد يجئ إليهم رزقه ، أو قراءة قرآن أو يكون كجملة الصوفية بالخوانق تُجري عليه النفقة والكسوة ، فمن كان غريباً بها علي خير لم يزل مصوناً عن بذل وجهه محفوظاً عما يُذري بالمرؤة ، ومن أراد طلب العلم أو التفرغ للعبادة وجد الإعانة التامة علي ذلك[2] .

سابعاً: الوقف المالي الخاص

وهو – في اعتقادي – نوع من الأوقاف التي لم يتحدث عنها العلماء و لم يدرج عندهم فيما يسمي وقفاً واضرب الامثله علي ذلك . فلو قال أحدهم وقفت نصف راتبي شهرياً علي الإنفاق للفقراء فهذا وقف مالي خاص وعندما أخرج أبو بكر الصديق كل ماله للإنفاق علي رحلة الهجرة فسأله الرسول "صلي الله عليه وسلم" : ماذا أبقيت لهم (لأهلك) قال : أبقيت لهم الله ورسوله ، هذا وقف لكل ماله علي رحلة الهجرة المباركة ، وفي غزوة تبوك كان الإعداد لها صعباً لبعد المسافة وكثافة أعداد الروم الأمر الذي بعث علي القلق من نفقات الإعداد لها ولكن المسلمون ما أن

---

(١) ابن بطوطة – رحلة ابن بطوطة – ص ١٠٤.

(٢) ابن بطوطة – رحلة ابن بطوطة – ص ١٠٤/١٠٥.

دعاهم الرسول "صلي الله عليه وسلم" إلي الجهاد بأموالهم وأنفسهم حتي تسابق الناس علي بذلهما كلها ، ومن بين الأمثلة الرائعة في ذلك:-

أنفق عثمان بن عفان في الإعداد لغزوة تبوك نفقة عظيمة لم ينفق أحد مثلها حيث أنه أسهم فيها بـ : تسعمائة وخمسين بعيراً ، وخمسين فرساً ، وألف دينار. هذا في اعتقادي أنه وقف كل ذلك من ماله الخاص علي غزوة تبوك ، وهو شكل من أشكال الوقف الذي لم يعده أحد من المؤرخين في هذا المجال(١).

وثمة مثال آخر واضح : عندما حلَ بالمسلمين جدب ، وتطلع الناس إلي ما قد يصل من الشام من تجارة زيت وحب ، وبر .....الخ حينئذ أقبلت ألف بعير لعثمان بن عفان تحمل براً وزيتاً وزبيباً ونحوها فأقبل عليه التجار وكل يزيد عن الآخر في شرائها ، وأن يزيدوا الدرهم درهمين أو ثلاثة فرد عليهم : أُعطيت عشرة أضعاف ثمنها فسألوه : من أعطاك عن الدرهم عشرة أمثالها ؟ أجابهم : أعطاني الذي يقول : " من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها " ثم قال : أشهدكم : أن هذه العير وما حملت صدقة للفقراء والمساكين(٢).

ومن الأوقاف المالية الخاصة ما كان يحدث من أهل الطائف الذين كان لبعضهم بساتين من النخيل والعنب والفرسك (وهو الخوخ والتين) ، وهم يسمونه الخمط ، فكان كل واحد منهم يُخرج عُشر ثمار بستانه

---

(١) د. أحمد شلبي – المجتمع الإسلامي – ط٣ – ١٩٦٧م – مكتبة النهضة المصرية – القاهرة – ص٩٤-٩٥.

(٢) د. أحمد شلبي – المجتمع الإسلامي – ص٩٥.

يحملونه علي جمالهم ، ويرسلون بها إلي رباط ربيع بمكة المكرمة ، وكانوا يعتقدون أن من لا يف بذلك منهم نقصت فواكه بستانه في العام التالي ، وأصابتها الجوائح[1].

وختامًا يمكن القول: بأن الوقف الإسلامي شمل كل الجوانب الحضارية المهمة؛ من إقامة المساجد العامرة، والمكتبات، والبيمارستانات (المستشفيات)، والأسبلة ، والآبار، والحمَّامات، والمدارس، فكان تلبية لكل مُتَطَلَّبَات المجتمع الإسلامي على جميع الأصعدة المختلفة، وقد كانت الأوقاف تتجاوز كل ما ذكر إلى تزويج الأيامى واليتيمات، والعناية بالمسنين، وتخصيص مرتبات شهرية للشيوخ والعجزة، ورعاية اليتامى والأرامل والمطلقات، وتعبيد الطرق وإنارتها ليلا، وبناء القناطر والحمامات العمومية، وبناء بيوت لابن السبيل على طرق المسافرين؛ إضافة إلى الأوقاف المتصلة بتأدية فريضة الحج، لقد امتازت الأوقاف في الحضارة الإسلامية بالتنوع والانتشار، وقد كان النظام الوقفي الإسلامي دليلاً على انفراد الحضارة الإسلامية بمثل هذا النظام الذي حقق للمسلمين ولغير المسلمين آليات متعددة لم يعرفها العالم من قبل للتكافل والتراحم ونهضة الحضارة الإسلامية

هذه نماذج اخترتها من كثير من الأوقاف عبر التاريخ، آثرت أن تكون متنوعة في مقاصدها مختلفة في أماكنها ، متباينة في أشخاص واقفيها لتعم الفائدة؛ وما كان قصدي أن أتتبع الأوقاف عبر التاريخ فإن ذلك

---

(١) ابن بطوطة – رحلة بن بطوطة – ص١٥٤.

يحتاج إلى مجلدات؛ وإنما هي نماذج تدل على خيرية أهلها وتحفز أهل الخير إلى الخير والله من وراء القصد .

المصادر والمراجع

البيهقي

(١) أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُسْرَوْجِردي الخراساني ، أبو بكر البيهقي (ت٤٥٨هـ) السنن الكبرى: تحقيق/ محمد عبد القادر عطا . دار الكتب العلمية . بيروت . لبنان . الطبعة: الثالثة ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م باب الصدقات المحرمات رقم ١١٨٩٧ج٦.

المقريزي

(٢) أحمد بن علي بن عبد القادر، أبو العباس الحسيني العبيدي. تقي الدين المقريزي (ت٨٤٥هـ) المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار:دار الكتب العلمية . بيروت . الطبعة: الأولى ١٤١٨هـ ج٤ .

ابن كثير

(٣) إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (ت٧٧٤هـ): البداية والنهاية: تحقيق/ علي شيري . دار إحياء التراث العربي . الطبعة: الأولى ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م ج١١.

أبو داود،

(٤) سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد بن عمرو الأزدي السِّجِسْتاني (ت٢٧٥هـ): سنن أبي داود: تحقيق/ شعَيب الأرنؤوط . دار الرسالة العالمية . الطبعة: الأولى، ١٤٣٠هـ/٢٠٠٩م باب اتخاذ المساجد في الدور .

ابن دقماق

(٥) صارم الدين إبراهيم بن محمد بن أيدمر العلائي (ت٨٠٩هـ): الانتصار لواسطة عقد الأمصار في تاريخ مصر و جغرافيتها: المكتب التجاري ـ بيروت.

ابن الجوزي

(٦) جمال الدين أبي الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (ت٥٩٧هـ): كشف النقاب عن الأسماء والألقاب: تحقيق/ عبد العزيز بن راجي الصاعدي ـ دار السلام ـ ط١ ١٩٩٣م

(٧) المنتظم في تاريخ الأمم والملوك: تحقيق/ محمد عبد القادر عطا، مصطفى عبد القادر عطا ـ دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ الطبعة: الأولى ١٤١٢هـ/١٩٩٢م ج١٤.

ابن هشام،

(٨) عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري المعافري(ت٢١٣هـ): السيرة النبوية: تحقيق: مصطفى السقا وآخرون ـ مطبعة مصطفى البابي الحلبي ـ مصر ـ الطبعة: الثانية، ١٣٧٥هـ/١٩٥٥م

ابن الأثير

(٩) علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني الجزري، عز الدين ابن الأثير (ت٦٣٠هـ): الكامل في التاريخ: تحقيق/ عمر عبد السلام تدمري ـ دار الكتاب العربي ـ بيروت ـ لبنان ـ الطبعة: الأولى ١٤١٧هـ/١٩٩٧م

ابن شبة

(١٠)(عمر بن شبة) (واسمه زيد) (بن عبيدة بن ريطة النميري البصري)(ت ٢٦٢هـ): تاريخ المدينة: تحقيق/ فهيم محمد شلتوت . جدة . ١٣٩٩هـ

الجرجاني

(١١) علي بن محمد الجرجاني – التعريفات – دار الكتاب العربي – بيروت – ط٢ – ١٤١٣هـ

ابن الفوطي

(١٢) كمال الدين أبو الفضل عبد الرزاق بن أحمد بن محمد الصابوني المعروف بابن الفوطي (ت ٧٢٣هـ): الحوادث الجامعة والتجارب النافعة في المائة السابعة: تحقيق/مهدي النجم . دار الكتب العلمية . بيروت . لبنان . ط١ .١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م ص٥٨، ٥٩.

ابن بطوطة

(١٣) محمد بن إبراهيم اللواتي – رحلة ابن بطوطة – دار صادر – بيروت

الأزهري

(١٤) محمد بن أحمد بن الأزهري الهروي (ت٣٧٠هـ): تهذيب اللغة: تحقيق/ محمد عوض مرعب . دار إحياء التراث العربي . بيروت . الطبعة: الأولى ٢٠٠١م

الشافعي

(١٥) محمد بن أحمد الخطيب الشربيني – مغني المحتاج إلي معرفة معاني ألفاظ المنهاج – دار الكتب العلمية– بيروت – ١٤١٥هـ – مجلد٣.

الذهبي

(١٦) محمد بن أحمد الدمشقي – تاريخ الإسلام وطبقات المشاهير والأعلام – ج١ – ق١ – الهيئة المصرية العامة للكتاب – القاهرة – ١٩٧٥.

(١٧) د/ محمد بن أحمد الصالح – الوقف في الشريعة الإسلامية وأثره في تنمية المجتمع – ط١ – ١٤٢٢هـ / ٢٠٠١م .

ابن الضياء،

(١٨) محمد بن أحمد بن الضياء محمد القرشي العمري المكي الحنفي ، المعروف بابن الضياء (ت٨٥٤هـ): تاريخ مكة المشرفة والمسجد الحرام والمدينة الشريفة والقبر الشريف: تحقيق/ علاء إبراهيم، أيمن نصر . دار الكتب العلمية . بيروت . لبنان . الطبعة: الثانية، ١٤٢٤هـ /٢٠٠٤م .

ابن جبير

(١٩) محمد بن أحمد الكناني الأندلسي البلنسي– رحلة ابن جبير – الهيئة العامة لقصور الثقافة – ط٢ – ١٩٩٨م – القاهرة .

البخاري

(٢٠) محمد بن إسماعيل البخاري الجعفي (٢٥٦هـ): الجامع الصحيح المختصر: تحقيق/مصطفى ديب البغا . دار ابن كثير . اليمامة . بيروت .

الطبعة الثالثة، ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م كتاب الشروط – باب الشروط في الوقف رقم ٢٥٨٦

ابن سعد

(٢١) محمد بن سعد بن منيع الهاشمي بالولاء، البصري، البغدادي (ت٢٣٠هـ): الطبقات الكبرى: تحقيق/إحسان عباس . دار صادر . بيروت . الطبعة: الأولى، ١٩٦٨م .

الزركشي،

(٢٢) شمس الدين محمد بن عبد الله الزركشي المصري الحنبلي (ت٧٧٢هـ): شرح مختصر الخرقي: دار العبيكان . الطبعة: الأولى، ١٤١٣هـ/ ١٩٩٣مج٤.

أمين

(٢٣) محمد محمد: الأوقاف والحياة الاجتماعية في مصر: ط١ ١٤٠٠هـ/١٩٨٠م.

ابن منظور

(٢٤) محمد بن مكرم بن على ابن منظور الأنصاري الرويفعى الإفريقي) (ت٧١١هـ): لسان العرب: دار صادر . بيروت . الطبعة: الثالثة ١٤١٤هـ.

الفيروز آبادي

(٢٥) مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب (ت ٨١٧هـ): القاموس المحيط: تحقيق/ مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة بإشراف: محمد

نعيم العرقسُوسي . مؤسسة الرسالة . بيروت . لبنان . الطبعة: الثامنة ١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م .

(٢٦) مسلم – صحيح مسلم – كتاب الوصية – باب ما يلحق بالإنسان من الثواب بعد وفاته – حديث رقم ٢٨٥٣.

(٢٧) معجم اللغة العربية – المعجم الوجيز – طبعة وزارة التربية والتعليم – القاهرة – ١٩٩٧م .

ساعاتي

(٢٨) يحيي محمود– الوقف وبنية المكتبة العربية – الرياض – ١٤٠٨هـ

ابن تغري بردي

(٢٩) يوسف بن تغري بردي بن عبد الله الظاهري الحنفي، أبو المحاسن)، جمال الدين (ت٨٧٤هـ): النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة: وزارة الثقافة والإرشاد القومي . دار الكتب . مصر